الباب الأول
مقدمة

الفصل الأول– خلفية البحث

أبو العلاء المعري (٣٦٣-٤٤٠ هـ/٩٧٣-١٠٥٧ م). لم يكن هذا الاسم غريبَ الذِّكرِ في عالم الأدب العربي. هذا الشاعر الضرير رجل مشهور ظاهراتي ومثير في عهده وما بعده إثارةً إلى جدل. قال ياقوت الحموي في شهرته: ((إنه غزير الفضل، شائع الذكر، وافر العلم، غاية الفهم، عالما باللغة، حاذقا بالنحو، جيد الشعر، جزل الكلام، شهرته تغني عن صفته)).[١] وقال الناقد الحديث عباس العقاد في ظاهريته: ((إن المعري تجتمع له ثلاث علامات من علامات عظماء الرجال فكان له حق في الخلود، وهي: فرط الإعجاب من محبيه، وفرط الحقد من حاسديه والمنكرين عليه، وجوٌّ من الأسرار والألغاز يحيط به، كأنه من خوارق الخلق الذين يحار فيهم الواصفون. وهذه العلامات الثلاث مجتمعات لأبي العلاء على نحو نادر في تاريخ الثقافة العربية، لا يشركه فيه إلا قليل من الحكماء والشعراء. فهو في ضمان الخلود منذ أحبه من أحب، وكرهه من كره، وتحدث عنه من تحدث، كأنه بعض الخوارق والأعاجيب)).[٢]

والمعري في نفس الوقت رجل يثير كثيرا إلى جدل بين المؤرخين والباحثين إثارة عنيفة. قال أحمد تيمور باشا في هذه القضية: ((إنه لم يختلف الناس في رجل اختلافهم في أبي العلاء المعري، ولا تراوحوا بشخص بين الكفر والإيمان تراوحهم به. فلا غرو إذا قضى مثل هذا التناقض على الباحث في أمره ألا يلتقي كل ما قيل عنه بالقبول، وأن يجنح

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

[١] ياقوت الحموي، معجم الأدباء ؛ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، ج.١، ص.٢٩٥.

[٢] محمود عباس العقاد، رجعة أبي العلاء، (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٨٤)، ط.٢، ص.٣.

إلى مقارنة ما نطق به بما نقل عنه؛ توصلا إلى حكم بات فيه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر)).[1]

ويظن أن قطع رأس تمثال أبي العلاء المعري بمعرة النعمان في أول فبراير ٢٠١٣ م حادثة تتأثر بتلك القضية الجدلية.[2]

ومن المسائل التي تثير إلى جدل بين الباحثين أفكار المعري التي تتعلق بزهده. فإن المعري كان يعيش عيشة الزهد والتقشف ويسجل أفكاره الزهدية في معظم أشعاره في اللزوميات. وفي صورة زهده قال غير قليل من المؤرخين إن المعري كان يعتزل في بيته ويلزمه طول حياته، يترك ملذات الدنيا، يعيش عزبا إلى أن مات، ويصوم دائما سوى العيدين. ويقتصر إفطاره على ما تنبت الأرض من مثل عدس أو زيت أو رُبّ أو دبس، وما كان يتفكّه وربما كان يتناول ما يقوم بالأود من أيسر الموجودات، فلا يأكل اللحم ولا البيض ولا السمن، ولا يشرب اللبن والعسل ولا شيئا من حيوان، ولا يستخدم جزءا من أجزائه، وكان يأكل مستترا في مغارة أو سرداب لنفسه وحده، فيدخل إليها للأكل حياء من عين ناظر ولم يكن أحد يرى المعري في الأكل. ويلبس خشن الثياب من القطن وفراشه لباد في الشتاء وحصيره بردية في الصيف، وترك ما سوى ذلك. وقال بعضهم إنه لم يكن من ذوي الأحوال في الدنيا، ولكنه مع ذلك رجل قنوع متعفف له نفس قوية لا تحمل منة أحد ولا يقبل من أحد شيئا ولم يتكسب بشعره. وكان الذي يحصل له في السنة مقدار نيف وعشرين دينارا، قدّر منها لمن يخدمه النصف وأبقى النصف الآخر لمؤنته. وهو يعيش على تلك الحال خمسين سنة منذ عودته من بغداد إلى معرة النعمان سنة ٤٠٠

---

[1] أحمد تيمور باشا، أبو العلاء المعري، (القاهرة: كلمات عربية، ٢٠١٢)، ص.١٣٣.

[2] انتشر الخبر في أول فبراير ٢٠١٣ عن قطع تمثال أبي العلاء المعري. انظر:

- مصطفى صالح، العنف في سوريا يطيح برأس تمثال أبو العلاء المعري. (١٢ فبراير ٢٠١٣)، تم استرجاعها بتاريخ ٩ مارس ٢٠١٤ من http://ara.reuters.com/article/topNews/ idARACAE9B2HBZ 20130212؛
- حمدي قنديل، الواقعة أخطر من هدم بوذا بأفغانستان (١٣ فبراير ٢٠١٣)، تم استرجاعها بتاريخ ٩ مارس ٢٠١٤ من http://www.el-balad.com/397420.
- رشيد الخيوم، أبو العلاء المعري ... القضية أكثر من قطع رأس تمثال! (١٥ فبراير ٢٠١٣، تم استرجاعها بتاريخ ١٢ فبراير ٢٠١٤ من http://www.majalla.com/arb/ 2013/02/article55242525.
- جهاد فاضل، أبو العلاء المعري أبرز مفاخر التراث، (٢٣ فبراير ٢٠١٣)، تم استرجاعها بتاريخ ٢٥ فبراير ٢٠١٤ من http://www.raya.com/news/pages/ 21d4ed79-7321-4f37-b92d-882c3c16cef9.

هجرية في الثالث والثلاثين من عمره حتى وفاته سنة ٤٤٩ هجرية في السادس والثمانين من عمره. وقال المعري: لست أريد في رزقي زيادة ولا أوثر لسقمي عيادة. هكذا خلاصة القول في ظواهر زهد المعري كما أخبرته كتب التاريخ.[١]

ومن أشعار اللزوميات التي تسجل أفكار زهد المعري قوله في الحث على ترك حطام الدنيا: [الطويل]

أصاحِ! هي الـدّنْيا تُشابهُ مَيتةً؛ ونحنُ حواليها الكـلابُ النّوابحُ

---

[١] ومنها:

- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تاريخ مدينة السلام أو تاريخ بغداد. تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م)، ط.١، ج.٥، ص.٣٩٨؛
- أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي السمعاني، الأنساب. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م)، ط.٢، ج.٣، ص.٩٢؛
- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تحقيق: إبراهيم السامرائي، (أردن: مكتبة المنار، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م)، ط.٣، ص.٢٥٨؛
- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملك والأمم. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م)، ط.١، ج.١٦، ص.٢٢؛
- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة في أنباه النحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م)، ط.١، ج.١، ص. ٨٣-٨٥، ٩٠؛
- ياقوت الحموي، معجم الأدباء ... ، ج.١، ص.٣٠٣، ٣٢٦؛
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م)، ج.١، ص.١١٤؛
- عماد الدين إسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر/تاريخ أبي الفداء، (مصر: مطبعة الحسينية المصرية، دت)، ط.٢، ج.٢، ص.١٧٦؛
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م)، ط.١، ج.٩، ص.٧٢٢؛
- زين الدين عمرو ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، (القاهرة: مطبعة الوهبية، ١٢٨٥ هـ)، ج.١، ص.٣٥٨؛
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م)، ط.١، ج.٧، ص.٦٥-٦٧؛
- أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. تحقيق: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧ م)، ط.١، ج.٣، ص.٥٣؛
- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية. تحقيق: صلاح محمد الخيمي، (دمشق: دار ابن كثير، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠ م)، ط.٢، ج.١٣، ص.١٣٣؛
- أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان. تحقيق: سلمان عبد الفتاح أبو غدة، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٣٢٣ هـ/٢٠٠٢ م)، ط.١، ج.١، ص.٥١٢؛
- شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. تحقيق: محمود الأرناؤوط، (بيروت: دار ابن كثير، ١٤١٠ هـ/١٩٨٩ م)، ط.١، ج.٥، ص.٢١٠؛
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية. تحقيق: شوقي ضيف، (مصر: دار الهلال، دت)، ج.٢، ص.٢٦٣-٢٦٤؛
- أحمد الإسكندري ومصطفى العناني، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه. (مصر: مطبعة المعارف، ١٣٣٧ هـ/١٩١٩ م)، ص.٢٣٥؛
- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، (القاهرة: دار نهضة مصر، دت)، ص.٣٠٧.

فمن ظلّ منها آكلاً، فهو خاسرٌ، ومن عاد عنها ساغباً، فهو رابح[1]

وقوله في الحث على ترك أكل اللحم وإيذاء الحيوانات: [الطويل]

غدَوتَ مريضَ العقلِ والدّينِ فالقَني لتسمعَ أنباءَ الأمورِ الصحائحِ
فلا تأكُلْن ما أخرجَ الماء، ظالماً، ولا تبغِ قوتاً من غريض الذّبائحِ
ولا تفجَعَنّ الطّيرَ، وهيَ غوافلٌ، بما وضعتْ، فالظّلمُ شرُّ القبائحِ[2]

وقوله في الحث على التقشف في المأكل والملبس: [السريع]

يكفيكَ طَعمٌ، جِنسُهُ واحدٌ، أطعِمَةٌ ضَرّتْ بتَجنيسِها
والثوبُ في أرضِكَ من وَخشِها، يُغنيكَ عن أثوابِ تِنّيسِها[3]

وقوله في الحث على ترك النكاح وتعطيل التناسل: [الطويل]

نصَحتُكَ لا تَنكِحْ، فإنْ خفتَ مأثماً، فأعرِس، ولا تُنسِل، فذلك أحزَمُ[4]

وقوله في نفس المعنى: [الطويل]

دعِ النّسلَ! إنّ النّسلَ عُقباه مِيتةٌ؛ ويُهجَرُ طيبُ الرّاحِ، خوفاً من السكر[5]

وقد اختلفت آراء الباحثين في مثل ذلك التقشف وهذه الأفكار وخاصة الفكرة في ترك أكل اللحم وفي ترك النكاح وتعطيل التناسل. فأما ابن الوردي وابن العديم فرأيا أن المعري زاهد يعيش على حقيقة الزهد التي لا تخالف سنة النبي ﷺ وآثار أصحابه الراشدين.[6] وأما البغدادي والسمعاني والقفطي فرأوا أنها أفكار زهدية أنجزها المعري في حياته وهم لا يقولون إنها أمر منحرف ولا يربطونها بأي نوع من التعاليم أو مذهب من

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

[1] أبوالعلاء المعري، اللزوميات، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، (القاهرة: مكتبة الخانجي، دت)، ج.١، ص.٢١٠.

[2] المعري، اللزوميات ...، ج.١، ص.٢١٨.

[3] المعري، اللزوميات ...، ج.٢، ص.٥١.

[4] المعري، اللزوميات ...، ج.٢، ص.٢٦٤.

[5] المعري، اللزوميات ...، ج.١، ص.٣٧٥.

[6] انظر: ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي ...، ص.٣٥٨-٣٥٩.

المذاهب.[١] وأما ابن الأنباري وابن الجوزي وياقوت الحموي وابن كثير فرأوا أنها أفكار تتشرب من مذهب البراهمة.[٢] وأما أبو الفداء فرأى أنها أفكار تتشرب من مذهب الهند.[٣] وأما جرجي زيدان فقال إن المعري كان يعيش زاهدا ويقتبس زهده من آراء البراهمة الهنود، فذهب مذهبهم فيه، رفقا بالحيوان، تجافيا عن إيلامه، ولزِم الصوم الدائم.[٤] وأما الذهبي وابن العماد فرأيا أن المعري يتزهد تزهدا فلسفيا على شريعة الفلاسفة.[٥] وأما ابن خلكان والصفدي واليافعي فلم يقولوا إن المعري تزهد ولكن يقولون إنه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين فسلك مسلكهم.[٦] وزاد اليافعي أن رأي المعري هذا يخالف ما جاءت به الأنبياء والشرائع.[٧] وأما شوقي ضيف فقال: ((إن العرب لم يصلوا بين نباتة أبي العلاء وفلسفة اليونان، إنما وصلوا بينها وبين التبرهم والبراهمة، فهي ليست شيئا يونانيا، ومن الخطأ أن يعتمد عليها بعض الباحثين في إثبات فلسفة أبي العلاء، وهي لا تمت مباشرة إلى اليونان وفلسفتهم)).[٨] وأما زكي مبارك فقال: ((إن المعري لم يكن في دنياه من الزاهدين بل كان مخفيا حب الدنيا مظهرا حياة الزهد مصوتا الأفكار الزهدية)).[٩] وأما ابن حجر العسقلاني فلم يره رأي تحكيم بل رأى أن المعري ذو علة وحجة خاصة في كل فكرته الزهدية.[١٠]

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

[١] البغدادي، تاريخ بغداد ...، ج.٥، ص.٣٩٨؛ السمعاني، الأنساب ...، ج.٣، ص.٩٢؛ القفطي، إنباه الرواة ...، ج.١، ص.٨٣.

[٢] ابن الأنباري، نزهة الألباء ...، ص.٢٥٨؛ ابن الجوزي، المنتظم ...، ج.١٦، ص.٢٣؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء ...، ج.١، ص.٣٠٣؛ ابن كثير، البداية ...، ج.١٣، ص.١٣٣.

[٣] أبو الفداء، المختصر ...، ج.٢، ص.١٧٦.

[٤] زيدان، تاريخ آداب اللغة ...، ج.٢، ص.٢٦٣-٢٦٤.

[٥] الذهبي، تاريخ الإسلام ...، ج.٩، ص.٧٢٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب ...، ج.٥، ص.٢١٠.

[٦] ابن خلكان، وفيات الأعيان ...، ج.١، ص.١١٤؛ الصفدي، الوافي ...، ج.٧، ص.٦٥؛ اليافعي، مرآة الجنان ...، ج.٣، ص.٥٣.

[٧] اليافعي، مرآة الجنان ...، ج.٣، ص.٥٣.

[٨] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، (القاهرة: دار المعارف، دت)، ص.٣٩٠.

[٩] زكي مبارك، هل كان المعري يكره الدنيا، في مجلة الهلال، (القاهرة: مجلة الهلال، سنة-٤٦، ١٩٣٨)، ص.٨٩١-٨٩٣.

[١٠] ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان ...، ج.١، ص.٥١٢.

هذه الآراء المختلفة تشير إلى أن أفكار الزهد للمعري لم تزل في إثارة إلى جدل. ولاحظ الباحث أنه لم يكن من أصحاب هذه الآراء من يربط زهد المعري بتجربة صوفية. مع أن الزهد – كما هو المعروف – مقام من مقامات التصوف. وكان التصوف قد بلغ في هذا العصر إلى تطوره الناضج.

نظرا إلى التاريخ كان المعري يعيش في عصر بلغ فيه التصوف إلى مرحلته الزاهرة. وكان اسمه وزهده مشهورا بين أبناء زمانه ومن بعدهم، بل وقد كان المعري يسجل أفكاره الزهدية في كثير من أشعاره وخاصة في اللزوميات. ولكن زهد المعري – في معرفة الباحث – لم يكن معروفا في كتب الزهد ولا في كتب التصوف ولا في كتب الأشعار الزهدية. فهذا الرجل المشهور بزهادته وتقشفه لم يرد مكتوبا في مثل كتاب اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي لأبي نصر الطوسي (ت. ٣٧٨ هـ) ولا في كتاب الزهد الكبير للبيهقي (ت. ٤٥٨ هـ)، ولا في الرسالة القشيرية لأبي القاسم القشيري (ت. ٤٦٥ هـ)، ولا في طبقات الأولياء لابن الملقن (ت. ٨٠٤ هـ)، ولا في مدخل إلى التصوف الإسلامي للتفتازاني (١٩٨٣) ولا في أروع ما قيل في الزهد ليحيى شامي.[1] وربما يدل ذلك على أن المعري لا يُعترف أو لم يكن يعترف بأنه زاهد حقيقة الزهد، فما بال أمره؟ كيف أفكار الزهد للمعري وكيف هي في منظور التصوف؟ هذه مشكلة تحتاج – في نظر الباحث – إلى المزيد من البحث.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

[1] يوجد اسم أبي العلاء المعري مذكورا في كتاب التصوف ولكن في قطفة يسيرة جدا. ومن مثاله ما ذكر الإمام الغزالي اسم المعري لمرة واحدة وقطف بيتين من اللزوميات وليسا في معنى الزهد:

قال المنجم والطبيب كـلاهما لا تبعث الأموات قلت إليكـما
إن صح قولكما فلست بخـاسر أو صح قولى فالخسار عليكـما

انظر: أبو حميد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين. تقديم: بدوي طبانة، (سمارانج: طه فترا، دت.)، ج.٤، ص.٥٨.

ومنه ما نقل سراج الدين محمد من أبيات له في الزهد وليست من اللزوميات، وهي قوله:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نـوح بـاكٍ ولا ترنـم شـاد
صاح هذه قبـورنا تملأ الأر ض فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الأر ض إلا من هذه الأجسـاد

انظر: محمد سراج الدين، الزهد في الشعر العربي، (بيروت: دار راتب الجامعية، دت)، ص.٥٨.

ومن المسائل الخلافية التي تثير الجدل بين الباحثين والتي لا تقل جاذبة للاهتمام بها هي أساليب أشعاره في ديوان اللزوميات. فمنهم من ينظر إليها نظرا تقديريا ومنهم من يعيبها وينظر إليها عكس الأول.

فأما الذين يقدرونها حق التقدير فمنهم معروف الرصافي والسمعاني وابن سليم الرشيد وطه حسين. قال الرصافي إن اللزوميات ظهرت بأسلوب يدل دلالة قاطعة على أن أبا العلاء كان في الحفظ على مفردات اللغة وآدابها بالمحل الأعلى الذي لا يدانيه مدان، حيث يستحق أن يعدّ الإمام الأوحد فيها بين أهل زمانه، فإنه كان ذا حافظة واسعة وذاكرة قوية شاملة، وذكاء وقاد وفكر شاسع فعال، وإنه كان ذا قدرة بيانية لا يعلو عليه فيها أحد من أهل زمانه.[١] قال السمعاني إنه الشاعر المعروف البحر الذي لا ساحل له في اللغة ومعرفتها.[٢] وقد لاحظ الرشيد أن كثيرا من الكُتّاب والشعراء في العصر الحديث يتعجبون بلزوميات المعري ويتأثرون بها فيعارضونها في أشعارهم.[٣]

ورأى حسين أن أبا العلاء لم يضع هذا الكتاب على أن يكون ديوان شعر، وإنما وضعه ليكون كتابا فلسفيا.[٤] وقد اضطره التكلف إلى المبالغة في اصطناع الغريب وإلى حبه للرمز والإيماء وإيثار الألفاظ الجافية للمعاني الغريبة، هذا ليقوم له بما يحتاج إليه القافية ولتخفى أغراض الكتاب على كثير من الناس لم يكن يحب أن يظهروا عليها. فلا جرم أن آثر من الألفاظ والأساليب ما يصعب فهمه على هؤلاء الناس.[٥] وهذا المسلك في رأي حسين ليس بعيب بل يلائم ما فيها من غرض فلسفي يكون لأجله الكتاب.[٦]

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

---

[١] انظر: معروف الرصافي، على باب سجن أبي العلاء، (بغداد: مطبعة الرشيد، ١٩٤٦)، ص.٣٨-٣٩.

[٢] السمعاني، الأنساب ...، ج.١١، ص.٣٩٩.

[٣] ومن هؤلاء البارودي، والزركلي، مصطفى الزرقاء، عبد الرحيم محمود، أحمد مخيمر، السعداني وأحمد شامي. انظر عبد الله بن سليم الرشيد، اللزوميات في الشعر العربي الحديث؛ الرؤية والتشكيل الفني، (القاهرة: مجلة جامعة أم القرى،جمادى الثاني ١٤٢٨ هـ)، ج.١٩، ع.٤١، ص.٣٩٢-٢٩٣.

[٤] حسين، تجديد ذكرى أبي العلاء، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٣)، ص. ٢٠٣.

[٥] حسين، تجديد ...، ص. ٢٠٤.

[٦] حسين، تجديد ...، ص.٢٠٣.

وأما الذين يعيبونها فأبو الفداء وابن الأثير والإسكندري وشوقي ضيف. قال أبو الفداء إن للمعري مصنفات كثيرة أكثرها ركيكة فهجرت لذلك.[١] ونقل ابن الأثير عدة الأبيات من اللزوميات، وهو إنما نقلها لعرض الأمثلة غير الجيدة في تطبيق نظام اللزومية لكثرة التكلف والتخلق.[٢] ورأى الإسكندري أن ديوان المعري المسمى بلزوم ما لا يلزم تقيد فيه بقيود حبست أفكاره وهكت معانيه فجائت ألفاظه فيه غريبة وأساليبه معقدة، وهذا من أمقت شذوذ له.[٣] ولاحظ شوقي ضيف أن جوانب كثيرة من اللزوميات واهية، ويغلب فيه التكرار الذي يصيب الصياغة فيها بضروب من الابتذال،[٤] ومن الصعب أن يسمى ما في اللزوميات شعرا أو أن يعطى المعري فيها لقبَ الشاعر،[٥] وقلما يجد الإنسان فيها طرافة إلا تعقيدا يقضي على ما يبعثه الشعر من لذة شعرية أو متعة فنية،[٦] وألفاظها العويصة الغريبة لا تلائم ما فيها من وعظ يوجه عادة إلى الجماهير.[٧]

كانت هذه الخلافية تدور حول أسلوب الشعر للمعري في لزومياته. هؤلاء النقاد يشتركون – أو يكادون – في أن اللزوميات ذات أساليب صعبة بل قيل إن الوافر منها صعبة مبهمة حتى على أهل الأدب،[٨] بعضهم يعد هذه الصعبة ميزة حسنة وبعضهم يعدها يعدها عيبا سيئا. هذه مشكلة تحتاج إلى المزيد من البحث. **أولا** لأن البيانات من أبيات اللزوميات تدل على أنه ليس كل شعر فيها صعب الفهم. فهذا المقدسي مثلا يلاحظ أن كثيرا من الشعر في النقد الاجتماعي يجري على أسلوب سهل بلغت به الصراحة أبعد

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

[١] أبو الفداء، المختصر ...، ج.٢، ص.١٧٦.

[٢] ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، دت)، ج.١، ص.٢٨٣-٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨-٢٨٩.

[٣] الإسكندري الوسيط ...، ص.٢٣٩.

[٤] ضيف، الفن ...، ص.٣٩٦-٣٩٧.

[٥] ضيف، الفن ...، ص.٣٩٥.

[٦] ضيف، الفن ...، ص. ٤٠٦.

[٧] ضيف، الفن ...، ص.٣٩٨.

[٨] انظر أنيس المقدسي، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٩)، ص.٤٠٨.

مدى.[1] **ثانيا** أن ذلك النظر إنما ينبع من تذوق ذاتي انطباعي، ينبغي فيه إعادة نظر وتحليل يقوم على المنهج الموضوعي. ولعل المنهج الأسلوبي – في نظر الباحث – أنسب المناهج لمعالجة هذه المشكلة، لأن الذي يهتم به هذا المنهج لم يكن صعبة الأسلوب وسهله، ولا تمييز مرتبة الأسلوب الجيد من الأسلوب الرديء من حيث الصعبة أو السهلة، بل يقوم على تحليل البيانات تحليلا وصفيا موضوعيا، بعرض السؤال: كيف كانت ظواهر هذه الأساليب وكيف فعاليتها في الدلالة والقيمة الجمالية وكيف ارتباط بعضها ببعض في سياق البيانات المبحوثة بأكملها.[2] وأما أمر الصعبة والسهلة فإنه **أولا** أمر نسبي يعدّ البعض البعض صعبة ما يعده الآخر سهلة، **وثانيا** أنه من طبيعة الشعر أن تظاهر فيها ما يسمى بالإبرازية (*foregrounding*) فكثير ما يبرز بها الشعر تعقيدا وغرابة وخارقة للعادة المألوفة. فالقمة الإبرازية في الشعر معمولة عمدا.[3] وهذه الآثار الإبرازية والتجديدية والتعبيرية والإبداعية والإيجازية كل ذلك صفة أساسية للشعر بل هي جوهرة الشعر الرفيع.[4] وليست هي بعيب في نفسها. والنقد الصادق إنما يقوم على أساس الفعالية دلالة أو جمالية لا على أساس الصعبة. فصعبة الأسلوب في اللزوميات لا تصح أن تكون أساسا للعتاب عليه، بل هي ظاهرة أسلوبية تنتظر الكشف عن فعاليتها الدلالية والجمالية وعن علاقة بعضها ببعض وبسائر العناصر الشعرية من أفكار وعواطف.

هكذا خلفية ينطلق منها هذا البحث. وهي على الأقل تدور حول قضيتين للمعري: أفكار الزهد وأساليب الشعر. هاتان القضيتان بالحقيقة ناحيتان من عناصر الأشعار الزهدية الواردة في ديوان اللزوميات: ناحية المضمون وناحية الشكل. ويفترض هذا البحث أن لهما خصائص في أنفسهما، بعضها مشتركة وبعضها مختلفة. ولعل أن يحصل في النهاية على إنتاج يرجى نفعه لأهمية التعليم. وبعدُ، فيتشكل هذا البحث في

---

[1] المقدسي، أمراء الشعر ...، ص.٤٠٩.

[2] Burhan Nurgiyantoro, *Stilistika*, (Yogyakarta: Gadjah Mada University Press, 2014), ص.90.

[3] Nurgiyantoro, *Stilistika* …, ص.195.

[4] Nurgiyantoro, *Stilistika* ..., ص.313.

رسالة تحت العنوان: **أشعار الزهد في ديوان اللزوميات لأبي العلاء المعري** (بحث تحليلي عن أفكار زهد المعري وأسلوب شعره).

الفصل الثاني– تحديد البحث

انطلاقا من تلك الخلفية المذكورة أعلاه يتوجه هذا البحث إلى حلّ عدة المشاكل، وهي بالتفصيل على ضروب الأسئلة التالية:

الأول : كيف سيرة حياة أبي العلاء المعري؟

الثاني : ما الأفكار الزهدية في أشعار الزهد للمعري وما العوامل التي تؤثرها؟

الثالث : كيف أفكار الزهد للمعري في منظور علم التصوف؟

الرابع : كيف الظواهر الأسلوبية في أشعار الزهد للمعري؟

الخامس : ما الآثار النابعة من هذه الظواهر الأسلوبية؟

السادس : ما الخصائص المشتركة والمختلفة بين فكرة زهد المعري وأسلوب شعره؟

السابع : ما إنتاج هذا البحث المقدّم لأهمية التعليم؟

الفصل الثالث– أغراض البحث

وفقا لما ذكر في تحديد البحث يتضمن هذا البحث الأغراض الآتية:

الأول : تحليل سيرة حياة أبي العلاء المعري؛

الثاني : تحليل الأفكار الزهدية في أشعار الزهد للمعري والعوامل التي تؤثرها؛

الثالث : تحليل أفكار الزهد للمعري في منظور التصوف؛

الرابع : تحليل الظواهر الأسلوبية في أشعار الزهد للمعري؛

الخامس : تحليل الآثار النابعة من هذه الظواهر الأسلوبية؛

السادس : تحليل الخصائص المشتركة والمختلفة بين فكرة زهد المعري وأسلوب شعره؛

السابع : تحليل إنتاج البحث المقدم لأهمية التعليم.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

الفصل الرابع– فوائد البحث

فوائد هذا البحث لا تنفك من الأغراض المذكورة أعلاه، فيرجى أن يكون البحث نافعا في مستويين: نظرية وتطبيقية.

الأول– الفائدة النظرية

أن يكون هذا البحث – خلال تحليل الأفكار الزهدية – يساهم سهما فكريا في نظرية علم الأخلاق والتصوف كما يساهم – خلال تحليل الظواهر الأسلوبية – سهما فكريا في نظرية علم اللغة العربية وأدبها.

الثاني– الفائدة التطبيقية

أن يكون هذا البحث يستفيده الناشطون في مجالين من التعليم: مجال تعليم الأخلاق والتصوف، ومجال تعليم اللغة العربية وأدبها.

أولا– في مجال تعليم الأخلاق والتصوف أن تكون النتائج التي تتعلق بأفكار الزهد نافعة كإحدى مواد يراجع إليها مدرسو الأخلاق والتصوف.

ثانيا– في مجال تعليم اللغة العربية وأدبها أن تكون النتائج التي تتعلق بالأسلوب نافعة كإحدى مواد يراجع إليها مدرسو اللغة العربية وأدبها.

الفصل الخامس– الإطار الفكري

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

الأشعار الزهدية في ديوان اللزوميات – كسائر الأشعار عامة – تجتزء نظريةً من عناصر المضمون والشكل. فأما المضمون فجملة المعاني التي يعبر عنها الشاعر من فكرة وعاطفة. وأما الشكل فجملة الوسائل اللغوية التي يستخدمها الشاعر لتعبير تلك المعاني في أسلوب فعال.[1] وهذا البحث يحلل ما في داخل النص من عناصر المضمون والشكل وارتباط بعضها ببعض مع إمعان النظر إلى ما يحيطها من العناصر الخارجية.

فأما تحليل المضمون فإنما هو – في هذه المناسبة – تحليل أفكار الزهد في الأشعار الزهدية للمعري، إذ المضمون تمثّل جوهره في الفكرة. وتطبيق هذا التحليل يجري ظلالَ

[1] Nurgiyantoro, *Stilistika* …, ص.57.

نظرية الزهد في علم التصوف. هذه النظرية تُستخدم **أولا** للبحث عن أبيات الأشعار في ديوان اللزوميات التي فيها معاني الزهد، هذا البحث بمثابة الخطوة لجمع البيانات واختيارها، وتستخدم **ثانيا** لتقسيم أفكار الزهد للمعري وفقا لأحد نظام التقسيم المقترح في علم التصوف، هذا التقسيم بمثابة الخطوة لتنظيم البيانات، وتستخدم **ثالثا** لتحليل ملاءمة أفكار الزهد للمعري لأفكار الزهد الصوفي، هذا التحليل بمثابة النظر التقييمي إلى أفكار الزهد للمعري في ضوء علم التصوف.

الزهد في إحدى تعريفاته هو ((خلو القلب من التعلق بالدنيا؛ اشتغالاً بالآخرة، واستعداداً للقاء الله تعالى فيها)).[1] في ظلال هذا التعريف يقوم الباحث بجمع أبيات الشعر في اللزوميات تحتوي على هذا المعنى أو على ما يقترب منه. والزهد عند التصوف مقام من مقاماته المهمة، وهو كسائر المقامات ينتظم من علم وحال وعمل. قال الغزالي: ((... وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات)).[2] وعلى هذه النظرية يقوم هذا البحث بتقسيم أفكار الزهد إلى ثلاث مستويات: أفكار على مستوى العلم وأفكار على مستوى الحال وأفكار على مستوى العمل.

وأفكار الزهد للمعري يُفترَض أنها لا تنفصل من الخلفية والعوامل التي تبعثه وتؤثره وتداعمه. وعلى هذا الافتراض يقوم هذا البحث بتحليل هذه العوامل المؤثرات في أفكار الزهد للمعري. ولإتمام هذا التحليل يُعَدّ الاطلاع على سيرة حياة المعري وعلى أحوال الحياة في عصره أمرا مهما لا لأهمية تحليل العوامل فحسب بل لتحليل الأفكار نفسها مقاصدها ومصادقها، إذ الفكرة تستمد أصولها بوجه من الوجوه من حقائق الحياة الواقعة أو من تيارات المذاهب المعاصرة، بل هي بمثابة رد فعل على تلك الحقائق والتيارات، فتحليل مشكلة الخلفية التاريخية أمر ضروري ليساعد الباحث على فهم الأفكار وعواملها،

---

[1] فيصل بن علي البعداني، الزهد طريق المرسلين، (١ نوفمبر ٢٠٠٩)، ص.٤. تم استرجاعها بتاريخ ٢٩ أبريل ٢٠١٤ من http://www.alukah.net/sharia/0/8020.html.

[2] الغزالي، إحياء ...، ج.٤، ص.٢١١.

ومن المستحسن أن يوضع تحليل هذه المشكلة مقدما على سائر المشاكل التي تستنير بضيائها، فيجعلها الباحث أول الأرقام.

وكانت أفكار الزهد للمعري – كما أشار إليه الباحث في فصل الخلفية – أفكارا خلافية تثير إلى جدل، بالإضافة إلى أنها غير معترف بها تماما عند أهل التصوف. ويفترض هذا البحث أن المعري عاش حياة الزهد والتقشف ولكن أفكار زهده لا تلائم تماما لما جرى عليه الزهد المعتمد في علم التصوف. ولتحقيق هذه القضية يقوم هذا البحث بتحليل أفكار الزهد للمعري في منظور التصوف يعنى به التصوف الخلقي.

وأما تحليل الشكل فإنما هو تحليل الظواهر الأسلوبية في أشعار الزهد، إذ الشكل تمثلت ظواهره في الأسلوب. وتطبيق هذا التحليل يجري تحت ظلال نظرية الأسلوب في علم الأسلوب. هذه النظرية تستخدم **أولا** للبحث عن الظواهر الأسلوبية البارزة في أشعار الزهد من حيث اختيارها وتكافؤها وعدولها، **وثانيا** لتقسيم هذه الظواهر طبقا لنظام التقسيم المقترح في هذا العلم، **وثالثا** لتحليل الآثار التي تبعثها هذه الظواهر من حيث علاقتها بالإيقاع، والمعاني، والمتلقي، **ورابعا** لتحليل الخصائص المتكافئة بين أسلوب شعر المعري وبين فكرة زهده. كل يجري على طريقة وصفية (لا معيارية) غاية الحصول على وصف الظواهر الأسلوبية وما يتعلق بها.

الأسلوب الذي يجري تعريفه عمليا في هذا البحث هو ((الكلام الخاص الذي يعبر به المرسل طبقا لغرضه الفكري والعاطفي غاية الدقة والتحسين في التعبير ويحدث في نفس المتلقي أثرا معينا)).[1] وعلى هذا التعريف يقوم الباحث بجمع أشعار الزهد التي برزت فيها سمات هذا الكلام الخاص. وإنما يُعدّ الكلام ذا سمات خاصة إذا تحقق فيه واحد أو أكثر من مبادئ الأسلوب من اختيار، وتكافؤ، وانحراف أو عدول. والكلام نفسه يتكون بالوضع من عناصر اللغة المعروفة وهي الأصوات، والكلمات، والجمل، والدلالة، وزيد في

[1] هذا التعريف من عند الباحث مستفاد من عدة تعريفات. وسيعود الكلام عليه مطولا في باب الدراسة المكتبية.

لغة الشعر بعنصر التصوير الفني. هذه هي مستويات لغوية يبحثها علم الأسلوب.[1] وعلى هذه النظرية يقوم هذا البحث بتحليل الظواهر الأسلوبية في أشعار الزهد مقتصرا على: ظواهر على مستوى الأصوات وظواهر على مستوى الكلمة وظواهر على مستوى التركيب وظواهر على مستوى التصوير مع تركيز الاهتمام على مدى اختيارها وتكافؤها وانحرافها.

والظواهر الأسلوبية التي تم فيها الاختيار والتكافؤ والانحراف ليست بعبث عاطل بل تحمل وظيفة من الوظائف فتُحدِث آثارا معينة في ارتباطها بحسن الإيقاع، وتعبير المعاني، واستجابة القارئ. وعلى هذه النظرية يقوم هذا البحث بتحليل الآثار التي تحدثها أساليب أشعار الزهد، ويمكن أن تكون هذه الآثار متعددة الأنواع لتعدد إمكانيات التأثرات النابعة من كل ظواهر الأسلوب.

الأسلوب بالنسبة إلى الشاعر المعين وجه من الوجوه يتميز به الشاعر من الآخر، وكذلك الفكرة بالنسبة إلى المفكر المعين مذهب من المذاهب يتميز به المفكر من الآخر، وإذا كان الأسلوب مظهر الفكر كما قال شوبنهاور Arthur Schopenhauer،[2] فيفترض أن بين أسلوب الشاعر وبين فكرته خصائص مشتركة. وهذا لا يعني أن تخلوَ لكل منهما خصائص يتميّز بها بعضها من بعض، فيفترض أيضا أن بينهما خصائص مختلفة. على هذا الافتراض يقوم هذا البحث بتحليل الخصائص المشتركة والمختلفة بين ما في أسلوب شعر المعري وبين ما في فكرة زهده.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

هذا ما اطمأن به الباحث لإطار الفكر في هذا البحث، ومن المستحسن أن يستخلصه في صورة آتية:

[1] Syihabuddin Qalyubi, *`Ilm al-Uslûb: Stilistika Bahasa dan Sastra Arab*, (Yogyakarta: Karya Media, 2013), ص.70.

[2] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، (حلب-سوريا: مركز الإنماء الحضاري، ٢٠٠٢ م)، ص.٣٤.

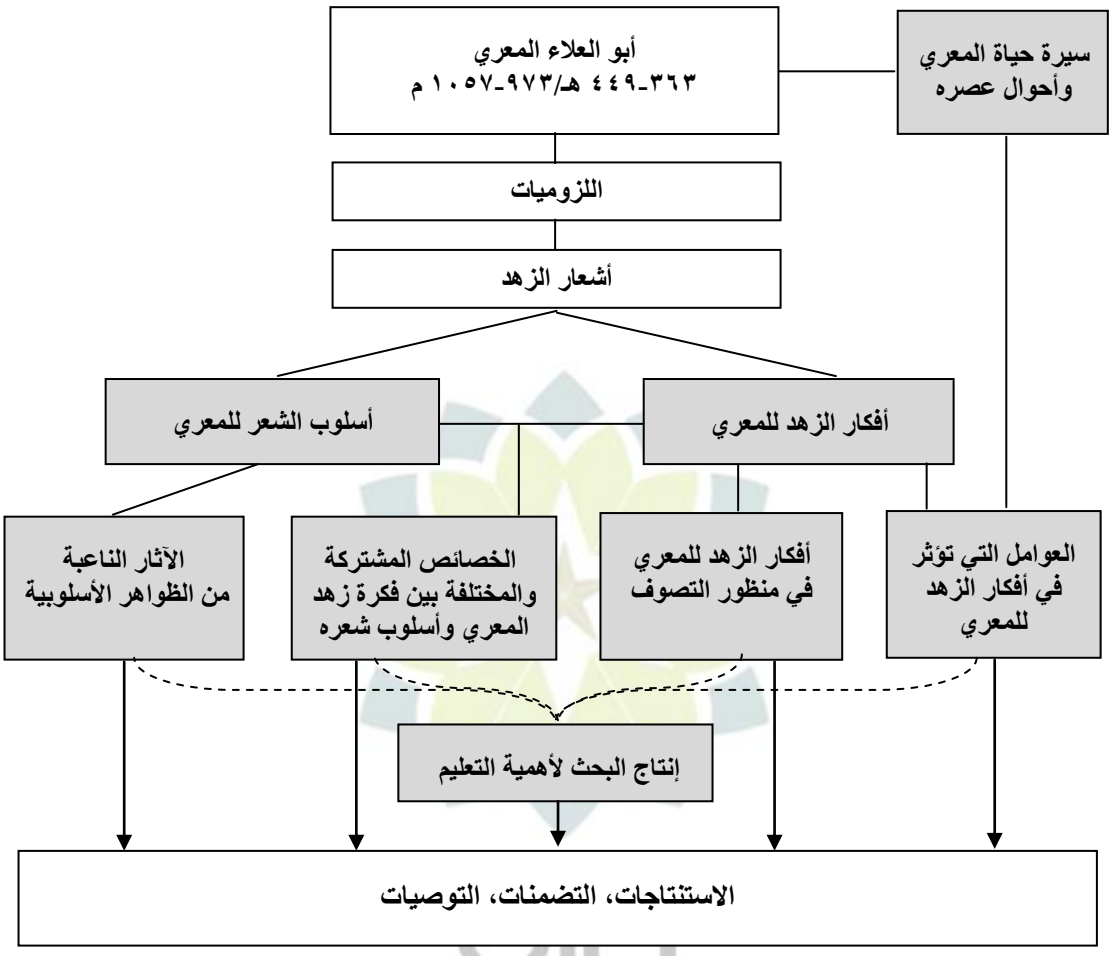

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

الفصل السادس– الدراسات السابقة

بذل المحدثون من العرب والمستشرقين جهوداً كبيرة في دراسة أبي العلاء المعري، واتخذت هذه الجهود أشكالاً شتّى، فمنها ما كانت طبيعته بيبلوغرافية، وما كانت طبعيته موسوعية، ومنها ما اقتصر على دراسة جانب من جوانب أدب المعري.

فأما الدراسات البيبلوغرافية فأقدمها كتاب ٣٥٠ مصدراً في دراسة أبي العلاء المعرّيّ (١٩٤٤ م) بقلم يوسف أسعد داغر. وحوى الإشارة إلى معظم من كتب عنه من المتقدّمين والمتأخرين. فأعقبه كتاب كشاف مصادر دراسة أبي العلاء المعرّيّ (١٩٧٨ م)

بقلم مصطفى صالح، وتناول كلّ الكتب التي ترجمت لأبي العلاء، أو أوردت شيئاً من شعره، أو قامت بدراسات نقدية حديثة عن أدبه، وبلغ عددها إلى ٧٢٢ عنوانا.[١]

وأما الدراسات الموسوعية فأقدمها كتاب تعريف القدماء بأبي العلاء بمجهود لجنة من الأدباء ترأسها د. طه حسين وأشرف على عملها في مناسبة المهرجان الألفي لمولد المعري في الجمهورية العربية السورية عام ١٩٤٤ م. وجعلت اللجنة لهذا الكتاب أبواباً ثمانية، أهمها الباب الأول وهو لتراجم أبي العلاء في المصادر المختلفة من زمان أبي العلاء إلى القرن الثاني الهجريّ، ناظرين في ترتيب هذه التراجم إلى وفاة أصحابها. والباب الثاني المسمى بالشذرات وهو لمجموعة من الأخبار الخاصّة بأبي العلاء، وهي مقتطفة من كتب شتّى رتّبها جامعو الكتاب ترتيباً زمنياً. هذا بعض ما أشار إليه مصطفى محمد.[٢]

ومنها كتاب الجامع في أخبار أبي العلاء المعرّيّ وآثاره لمحمد سليم الجنديّ، وهو على ثلاثة أجزاء في ١٩٨٦ صفحة، صدرت طبعته الثانية سنة ١٩٩٢ م بمطبعة دار صادر، بيروت. وهي ما بين يدي الباحث. يقوم الكتاب على منهج النقد التاريخي فيوثق بأنه أقرب إلى الإنصاف. وهو لم يترك شيئاً عن حياة المعرّيّ وآثاره، إلا وألمّ بطرف منها. قال الجندي في زهد المعري: ((وإذا تصفحنا أقوال أبي العلاء في الزهد تبين لنا أنه زاهد على كل قول)).[٣] وقال في أسلوب شعره: ((وأما أسلوبه في لزوم ما لايلزم في جمله فالغالب عليه المتانة، وقوة الأسر، والجزالة)).[٤]

وأمّا الدراسات النقدية التي تناولت أدب أبي العلاء وحياته فمنها كتاب تجديد ذكرى أبي العلاء للدكتور طه حسين، الذي تقدّم به للجامعة المصرية، ونال به إجازة الدكتوراه في الأدب، وصدرت طبعته السادسة سنة ١٩٦٣ لمطبعة دار المعارف بالقاهرة

---

[١] معتصم يوسف مصطفى محمد، مصادر دراسة أبي العلاء المعري قديما وحديثا، دراسة تحليلية نقدية، رسالة الدكتوراه تحت إشراف: صلاح الدين المليك، (الخرطوم: جامعة الخرطوم، ٢٠٠١ م)، ص.٣٤٧-٣٤٨.

[٢] مصطفى محمد، مصادر...، ص.٣٤٩.

[٣] محمد سليم الجندي، الجامع في أخبار أبي العلاء المعري وآثاره. تعليق: عبد الهادي هاشم، (بيروت: دار صادر، ١٤١٢ هـ/١٩٩٢ م)، ط.٢، ص.٣٢٦.

[٤] الجندي، الجامع...، ص.١١٥٨.

في ٢٩١ صفحة. وهي ما بين يدي الباحث. وقد تناولت مباحث هذا الكتاب تاريخ المعري وفلسفته، ومنها زهد المعري وأسلوب شعره. أما في زهد المعري فقال حسين: ((فأول ما يظهر من الخصائص الخلقية لأبي العلاء زهده وإعراضه عما في هذه الحياة من اللذات، ولك في سيرته بالمعري تسعا وأربعين سنة أصدق دليل على أن هذا الخلق قد كان من الصور النفسية اللازمة له، وكذلك العفة والقناعة وعزة النفس)).[١] ورأى أن المعري يتناسب مع أبيقور الفيلسوف اليوناني في رفض اللذة عملا.[٢] ورأى أنه أخذ عن أهل الهند تحريم الحيوان وما يخرج من الثمرات.[٣] وأما في أسلوب اللزوميات فقال حسين إن هذه اللزوميات إلى أن تكون كتابا فلسفيا أقرب منها إلى أن تكون ديوانا شعريا، لأن صرامة القانون الفلسفي فيها تلمس باليد.[٤]

ومنها كتاب أبو العلاء آراؤه في لزومياته بقلم كمال اليازجي. وصدر بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م لمطبعة مكتبة لبنان ناشرون في ١٠٧ صفحة. ولم يكن هذا الكتاب بين يدي الباحث، وإنما عرفه من إشارة مصطفى محمد إلى مجمل مضمونه. أشار مصطفى إلى أن اليازجي أفرد الباب الرابع لأسلوب الديوان من حيث خصائصه اللفظية، والمعنوية، ولباقة الشاعر في التماس الأغراض، وأساليب الديوان بين القديم والجديد. وتناول في الباب الخامس محاور ثلاثة تؤثر في زهد المعري ونفوره من المجتمع وهي مهازل الحياة، وتردّي الوضع العام، وأزمة العيش. ثم استعرض اليازجي لزوميات المعرّيّ بين التقليد والتجديد، وقرّ رأيه في ذلك على أنّ المعرّيّ مقلّد في الشكل مجدّد في الموضوع. والواقع – عند مصطفى – أنّ المعرّيّ مجدّد في الشكل أيضا.[٥]

---

[١] حسين، تجديد ...، ص.١٦٩.

[٢] حسين، تجديد...، ص.٢٨٣.

[٣] حسين، تجديد...، ص.٢٨٦.

[٤] حسين، تجديد...، ص.٢٠٢.

[٥] مصطفى محمد، مصادر...، ص.٣٦٤-٣٦٥.

ومنها كتاب البناء اللفظي في لزوميات المعرّيّ – دراسة تحليلية بلاغية، بقلم مصطفى السعدني. وصدر سنة ٢٠٠٥ م بالإسكندرية لمطبعة منشأة المعارف في ٢٩٩ صفحة. والكتاب – كما قال مصطفى – أشبه بكتب البلاغة المدرسية التي تعرّف بالمصطلحات البلاغية – على اختلاف أنواعها وضروبها، ثمّ تأتي بالشاهد عليها، دون تحليل لهذا الأمر، أو دراسة بلاغية – كما جاء في العنوان – تبيّن لنا وجوه نظم الكلام، وفلاح المعرّيّ في ذلك أو إخفاقه. ورأى مصطفى أن هذا الكتاب غير ناجح في مشروع البحث العلمي القيم.[١]

ومنها كتاب مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها بقلم محمد طاهر الحمصي، وصدر بدمشق لمطبعة دار الفكر المعاصر سنة ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦ م. أشار مصطفى إلى أن الكتاب يتناول أربعة أبواب. تكلّم الأول منها عن ثقافة المعرّيّ اللغوية ومراحل تطورها. وأبان الباب الثاني مذهب أبي العلاء في اللغة. واختصّ الباب الثالث بالحديث عن أصول مذهب أبي العلاء في النحو والصرف، وتناول الباب الرابع مذهب المعرّيّ في العروض.[٢]

ومنها كتاب النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعرّيّ بقلم حماد حسن أبو شاويش. أشار مصطفى إلى أن الكتاب جاء في بابين، تناول أوّلهما شعر [سقط الزند] من حيث الدراسة الموضوعية المتعلّقة بأغراض الشعر المعروفة، والدراسة الموضوعية لديوان [اللزوميات] من حيث الموضوعات الفلسفية التي في شعر الديوان. أمّا الباب الثاني فقد اهتمّ بالدراسة الفنية لهذا الشعر من حيث اللغة والصياغة، والصورة الشعرية، وموسيقى الشعر، والتأثّر والتأثير المتمثّلين في تأثّر أبي العلاء بسابقيه، وتأثيره في لاحقيه.[٣]

ومنها كتاب أمراء الشعر العربي في العصر العباسي بقلم أنيس المقدسي. فصل من فصول هذا الكتاب يتخصص بدراسة في المعري من صفحة ٣٨٧ حتى ٤٣٦. قال

[١] مصطفى محمد، مصادر...، ص.٣٧٠.

[٢] مصطفى محمد، مصادر...، ص.٣٧٢.

[٣] مصطفى محمد، مصادر...، ص.٣٧٣.

المقدسي في زهد المعري ((إن المعري بعد أن استقر في المعرة وعكف على العلم والتعليم قصده الطلاب من الآفاق وكاتبه الكبراء والأمراء، فعظم شأنه وحسنت حاله. ولكنه لم يكن يستعمل من ماله إلا الترر اليسير، وينفق الباقي في سبيل اللائذين والمعوزين. وهنا سر العظمة في حياة المعري الزهدية)).[١] وقال في أسلوب اللزوميات: ((ينفرد هذا الديوان بمزيتين: خلوه من أبواب الشعر المطروقة (المدح والرثاء والفخر وما إليها)، وانصراف ناظمه إلى نقد الحياة)).[٢]

ومنها كتاب المنتخب من اللزوميات، نقد الدولة والدين والناس بقلم هادي العلوي. قسم الؤلف الكتاب قسمين، وحلل في الأول شخصية المعري الثقافية ونقده العنيف للدين والدولة والسياسية والطبيعة. وفي الثاني عرض المؤلف مجموعة الشواهد على ما سبق تحليل مضمونها في القسم الأول. ومما يلفت إليه الباحث من قول المؤلف قوله في ختام القسم الأول: ((أقول هذا مع إدراكي إن فكره ليس هو الأعمق بالقياس إلى الفلسفة الخالصة، ولا الأكثر جموحا بالقياس إلى التصوف القطباني)).[٣]

ومنها كتاب شعر الزهد في العصر العباسي من قيام دولة بني بويه سنة ٣٣٤ هـ حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ بقلم عبد الستار محمد ضيف. في هذا الكتاب يبحث عبد الستار عن شعر الزهد خلفيته التاريخية ومضمونه الفكري وخصائصه الفنية. ورأى المؤلف اتجاهين من شعر الزهد في هذا العصر: اتجاه ديني واتجاه تأملي فلسفي، وعدّ المعري من كبار شعراء الزهد التأملي الفلسفي مستدلا بكثير من أشعار اللزوميات، وهو مع ذلك يقتبس أبياتا من نفس الديوان لبيان الزهد الديني، ذلك يدل على أن من أشعار اللزوميات ما يتضمن معاني الزهد الديني بيد أن المعري عند المؤلف أقرب إلى الزهد الفلسفي.[٤]

---

[١] المقدسي، أمراء الشعر ...، ص.٣٩٨.

[٢] المقدسي، أمراء الشعر ...، ص.٤٠٦.

[٣] هادي العلوي، المنتخب من اللزوميات؛ نقد الدولة والدين والناس. (دمشق: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٩٠ م)، ص.٩٣.

[٤] انظر عبد الستار محمد ضيف، شعر الزهد في العصر العباسي: من قيام دولة بويه سنة ٣٣٤ هـ حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ، (القاهرة: مؤسسة المختار، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م)، ص.٢٧٥.

وتناول الباب الخامس الخصائص الفنية لشعر الزهد من حيث البنية والصورة واللغة والموسيقى، واستثنى المؤلف أسلوب المعري من أغلب نظائره، حيث يقول: ((لا نستثني إلا بعض زهديات أبي العلاء المعري التي شابها غموض الألفاظ نتيجة للقيود التي فرضها على نفسه، واستجابة لرغبته في إظهار مقدرته اللغوية)).[١]

ومنها كتاب تاريخ آداب اللغة العربية بقلم جرجي زيدان. وضع المؤلف بحث المعري في الجزء الثاني من هذا الكتاب. وقال في زهد المعري: ((حتى إذا نضج عقله وأمعن النظر في الوجود رأى الدنيا كما هي، فزهد فيها وعزم على الاعتزال، ليتسنى له التأمل والتفكير)).[٢] ورأى أن المعري كان يقبح الزواج ويعد النسل جناية.[٣] ولاحظ أن أشعاره في عزلته تمتاز بصبغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من أسباب السعادة، لعل أسبابها اختلال الهضم عنده بتوالي الصوم والاقتصار على نوع أو نوعين من الأطعمة.[٤]

ومنها الوسيط في الأدب العربي وتاريخه بقلم أحمد الإسكندري ومصطفى عناني. وفيه دراسة في المعري. ذكر المؤلف أن المعري هو الشاعر الفيلسوف المتفتن الزاهد،[٥] وبقي في مترله مكبًّا على التدريس والتأليف، مجتنبا أكل الحيوان وما يخرج، مكتفيا بالنبات والفاكهة والدبس، متعللا بأنه فقير وأنه يرحم الحيوان، وعاش عزبا إلى أن مات.[٦] ورأى المؤلف أن ألفاظه في اللزوميات جاءت غريبة وأساليبه معقدة، وهذا أمقت شذوذ له.[٧] ومثل هذا القول يوجد كذلك في كتاب تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات مع

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG

[١] ضيف، شعر الزهد...، ص.٦٤٢.

[٢] زيدان، تاريخ آداب اللغة ...، ج.٢، ص.٢٦٣.

[٣] زيدان، تاريخ آدب اللغة ...، ج.٢، ص.٢٦٦.

[٤] زيدان، تاريخ آدب اللغة ...، ج.٢، ص.٢٦٤.

[٥] الإسكندري، الوسيط ...، ص.٢٣٤.

[٦] الإسكندري، الوسيط ...، ص.٢٣٥.

[٧] الإسكندري، الوسيط ...، ص.٢٣٩.

المزيد من الأمثلة.[١] وقال الزيات إن المعري حرم على نفسه الزواج ضنا بنسله على لؤم الناس وبؤس الحياة.[٢]

ومنها كتاب الفن ومذاهبه بقلم شوقي ضيف. قام المؤلف بتحليل تطور الشعر العربي من ثلاثة خصائص: الصناعة، والتصنيع، والتصنع. وعدّ المعري من أصحاب التصنع. وقال: ((... فإن أبا العلاء الشاعر إنما نلقاه في سقط الزند، أما في اللزوميات فلا بد من إضافة وصف آخر غير وصف الشاعر، نسميه أبا العلاء الواعظ أو الزاهد أو المتشائم)).[٣]

ومنها كتاب التفاعل الفني في شعر أبي العلاء، دراسة في ديوان اللزوم بقلم حسن عبد العليم يوسف. تناول مؤلف الكتاب البحث المتكامل عن أفكار المعري جزئية وكلية وعن النسيج الفني في اللزوميات. وردّ بذلك على من يتهمونه بتهمة سلبية، فيضع المشكلات وضعا موضوعيا حيث لاحظ أن جميع الأفكار في اللزوميات إنما تقوم على خلفية خلقية وهي لذلك ذات منحى خلقي يوجهه المعري لتهذيب الأخلاق. بيد أنه يستخدم كل وسيلة من وسائل اللغة الممكنة فتجسدت اللزوميات أكثر ألفاظها غريبة غامضة إلا عند صاحبها، لأن صاحبها يعتبر إمام عصره في اللغة علومها وإبداعها. قال المؤلف: ((نستطيع أن نقول إن الخلفية الأخلاقية كانت هي الموجه الأساسي لطبيعة تناول الشاعر لتلك القضايا الفكرية، فما كان يريده من ذلك هو إبراز المنحى الأخلاقي الكامن وراء كثير من التصورات المطروحة في الساحة الثقافية العربية)).[٤]

هذا ما استطاع الباحث تقديمها للمحة عن الدراسات السابقة، ولا يسعه المقام لتطويل الكلام على جميع ما عكف عليه من المراجع المرتبطة بهذه الرسالة. وخلاصة القول أن هذه الدراسات المذكورة أعلاه كلها تناولت البحث عن أبي العلاء المعري، واختلفت

---

[١] الزيات، تاريخ الأدب...، ص.٣٠٩.

[٢] الزيات، تاريخ الأدب...، ص.٣٠٧.

[٣] ضيف، الفن ومذاهبه، ...، ص.٣٩٥.

[٤] حسن عبد العليم يوسف، التفاعل الفني في شعر أبي العلاء. دراسة في ديوان اللزوم، (الإسماعيلية: جامعة قناة السويس، دت)، ص.١٨٣.

بينها في العمق والوسع، كل يمتاز بمزياته. ولَيستفيدنّ الباحث – حسب الاستطاعة – من كل محصولات هذه الدراسات لا سيما التي تتعلق بزهد المعري وبأسلوب شعره، وقد يفوته ما فات لتقصير فهمه. ولاحظ الباحث أن زهد المعري وأسلوب شعره موضوع يكاد لا تتركه واحدة من تلك الدراسات، ولكنه مع ذلك لم يجد منها بحثا يتخصص بأشعار الزهد في اللزوميات من حيث مضمونها (أفكار الزهد) وشكلها (ظواهر الأسلوب) والعلاقة بين خصائصهما. لذلك يكون الباب مفتوحا ليشرع الباحث في بحث هذه الأشعار الزهدية في لزوميات المعري، راجيا أن ينفع الله به له ولسائر الدارسين. آمين.

UNIVERSITAS ISLAM NEGERI
SUNAN GUNUNG DJATI
BANDUNG